

الدور الحضارى لدير سانت كاترين عبر العصور

د/ محمد حلمي محمد مصطفى

مدير عام البحوث والدراسات

لآثار جنوب سيناء - وزارة الآثار

ملخص البحث :

دير سانت كاترين واحد من أشهر وأهم المراكز الدينية والتاريخية والأثرية على مستوى العالم، يقع الدير بمحافظة جنوب سيناء بمدينة سانت كاترين التي طغت عليها تسمية الدير فعرفت باسمه، وكان هذا من تأثير الدور الحضارى للدير على الموقع .

عرف الدير عبر العصور بالعديد من المسميات التي عكست أهميته ودوره التاريخي والحضارى، كما ساعد دور الدير الدينى وموقعة المتطرف بمنطقة طور سيناء على قيامه بدور تاريخي وحضارى بالمنطقة حيث كان أقرب إلى الشهر العقارى للمكان فكان السجل التاريخي المدون به كل ما يخص ليس جنوب سيناء فقط بل سيناء عامة وبعض مناطق الشام ومصر، مر الدير بالعديد من المراحل التاريخية والحضارية التي انعكست على عمارته عبر العصور وكذلك من خلال مقتنياته التاريخية والأثرية التي جاءت على سبيل الإهداء من ملوك العالم المعمور فى تلك الفترة، لم يفرق فى ذلك بين واهب مسلم أو مسيحي غنى أو فقير فكان هذا مثالا للتعايش السلمى والتعاون الحضارى عبر العصور .

من خلال دراسة عمارة وكنوز دير سانت كاترين يمكن ببساطة وضع تصور واضح وجلى عن المنطقة عبر حقبة التاريخ المتعاقبة والتي تركت آثارها على جدران وملحقات الدير ببصمات واضحة جلية تعكس نمط عمارة وفنون تلك العصور الذى لا يمكن أن تخطئه أعين المتخصصين، لذلك فدراسة عمارة وكنوز دير سانت كاترين تعتبر مثلاً واضحاً لمحوّر دراسة التراث الحضارى والمعمارى والفنى والتاريخى عبر العصور .

الكلمات الدالة :

جنوب سيناء- طور سيناء- سانت كاترين- دير- القديسة كاترين- ايقونات
يعتبر دير سانت كاترين بجنوب سيناء نمطاً أثرياً تاريخياً فريداً من نوعه على مستوى العالم وليس سيناء خاصة ومصر عامة، حيث يشكل الدير نمطاً متفرداً في كونه وحدة برز من خلالها التعايش والتعاون بين الديانات السماوية الثلاث الكبرى اليهودية والمسيحية والإسلام، إذ تجمع جدران الدير وحدات معمارية وفنية تعبر تعبيراً صادقاً عن التعاون والتضافر الحضارى عبر العصور لهذا الأثر الفريد فبداخله نجد شجرة العليقة المقدسة التي تجلى الله فيها لسيدنا موسى عليه السلام بالوادي المقدس طوى [إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى]، كذلك

يوجد بالدير كاتدرائية ضخمة خاصة بطائفة الروم الأرثوذكس، بالإضافة لمسجد جامع يعود للعصر الفاطمي فترة الخليفة الأمر بأحكام الله^٢ وعلى ذلك يمكن اعتبار الدير بالتأكيد مجمعا للأديان السماوية الكبرى الثلاث تعكس التعايش والتعاون السلمي بين أفراد تلك الديانات منذ تشييد الدير في القرن السادس وحتى اليوم.

يقع دير سانت كاترين في محافظة جنوب سيناء بجمهورية مصر العربية (خريطة ١)، في منطقة تعرف بوادي الدير نسبة إليه، حيث يشغل الدير وسط هذا الوادي تماما وتحيط به الجبال من ثلاث جهات (خريطة ٢) الشمالية حيث جبل الدير أو جبل العبيد^٣، الجنوبية جبل الصفصافة^٤، الشرقية جبل التجلي أو " المناجاة"^٥، أما الجهة الغربية فهي تفتح على وادي الشيخ وهو الوادي الممتد من مدخل مدينة سانت كاترين عند الطرفة وحتى قلب المدينة.

عرف دير سانت كاترين بعدة مسميات عبر تاريخه الطويل منذ القرن السادس وحتى اليوم وكانت تلك المسميات تعكس التطور التاريخي والحضاري للدير بالمنطقة، فقد عرف الدير عند تشييده بدير العذراء مريم^٦ نسبة لأقدم كنيسة شيدت بالموقع وهي المعروفة الآن بكنيسة العليقة المقدسة، إذ شيدت تلك الكنيسة في القرن الرابع على يد الإمبراطورة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين الكبير وعرفت وقتها بكنيسة العذراء مريم، كما عرف الدير كذلك بدير جبل الرب أو دير جبل الشريعة نسبة للجبل الذي تلقى من عليه نبي الله موسى ألواح شريعة بنى إسرائيل وكان أحد أسباب تشييد الدير بهذا الموقع، كذلك عرف الدير بدير طور سيناء^٧ أو دير جبل القمر نسبة لجبل موسى الذي عرف بجبل حوريب وهو الجبل الأشهر بتلك المنطقة باعتباره الجبل الذي ناجى نبي الله موسى ربه من أعلاه، وأخيرا عرف الدير بدير القديسة كاترين حوالي القرن العاشر أو الحادي عشر الميلادي، نسبة لشهيدة المسيحية الحسنة السكندرية ذروثيا التي اشتهرت باسم كاترين والتي عذبت وقتلت بالإسكندرية في أوائل القرن الرابع الميلادي، وتذكر تقاليد الدير بأن الملائكة قد حملت جسدها من الإسكندرية وقامت بدفنه في سيناء أعلى أحد الجبال بها وهو الذي عرف بعد ذلك بجبل كاترين (لوحة ١)، ثم تم نقل الجسد من أعلى الجبل إلى الدير بعد رؤية تجلت لمطران الدير بقيام الملائكة بنقل الجسد أعلى أحد جبال المنطقة، ومن وقتها تغير اسم الدير من دير طور سيناء إلى دير سانت كاترين^٨.

شيد دير سانت كاترين العامر على يد أحد أشهر أباطرة الدولة البيزنطية الإمبراطور جوستنيان^٩ خلال الفترة من (٥٤٨:٥٦٥م) وهي الفترة المحصورة ما بين وفاة الإمبراطورة تيودورا ووفاة الإمبراطور جوستنيان^{١٠}، ليكون حصنا منيعا لحماية الرهبان في تلك المنطقة من هجمات سكان الجبال من البرابرة، وكذلك تأمين حدود إمبراطوريته الشرقية ضد أية هجمات متوقعة من قبل الإمبراطورية الفارسية المجاورة^{١١}

اكتسب الدير خلال تاريخه الطويل عبر العصور أهمية حضارية كبيرة توفرت له عبر عدة مقومات كان الدير خلالها عنصرا مؤثرا في بعضها في حين كان عنصرا متأثرا ببعضها الآخر، حيث أثر في البداية الموقع على تشكيل أولويات الدير وإدارته عبر فترات تاريخية طويلة، إذ أدى موقع الدير في تلك المنطقة القاحلة المتطرفة إلى محاولة الرهبان الاعتماد على أنفسهم في البداية في توفير احتياجاتهم اليومية الأساسية من مياه وطعام فعملوا على استصلاح العديد من الأودية المحيطة بهم ومحاولة زراعتها، وتعميرها بالسكن إضافة إلى حفر العديد من الآبار لاستنباط المياه من الأرض، وقد نجح الرهبان في تلك المحاولات ليتمكنوا مع الوقت من الوقوف على شفير التحضر في تلك الفترة المبكرة من التاريخ، فتمكنوا من خلال ذلك من تطوير نمط استقرارهم في تلك المناطق والتي بدأت بالاستقرار الفردي بالجمال فيما عرف بالتوحد كما في مناطق مغارات كهوف حمام فرعون براس سدر وكهوف جبل أبو صويرة في الطور (لوحة ٢)، وتلاه التوحد الجماعي والتواجد في مجموعات للدفاع عن أنفسهم وبحيط بهم سور من الطوب اللبن بإمكانيات بسيطة كما في وادي الأعوج بالطور (لوحة ٣)، وتلاه التوحد الديرى أو حياة الشراكة وهى الفترة التى تدخلت فيها الدولة بعد اعتناقها للمسيحية لدعم الرهبان ومساعدتهم فقامت ببناء الأديرة من الحجر كما في دير كاترين ودير يوحنا بالطور أو دير البنات وتل المحرض بفيران^{١٢}، وعلى ذلك تمكن الرهبان من تكوين تجمعات رهبانية بطول سيناء وعرضها تعتبر مراكز هامة لدراسة التطور المعماري والعمراني في العمارة والفنون البيزنطية في تلك الفترة. وكانت ثانى مشاكل الرهبان هى محاولة السيطرة على الأعراب وقبائل البربر والعرب الساكنين في الجبال المحيطة بهم والمستقرين حولهم بعد نجاح الرهبان في استنباط المياه وزراعة الأرض، فدخل الرهبان في صراع في البداية مع العديد من تلك القبائل في محاولة منهم للسيطرة والتعاون مع تلك القبائل وأن يأمنوا جانبهم وخاصة بعد الهجمات القوية التى تعرضت لها التجمعات الرهبانية وخاصة الدير وبعض أملاكة بالطور ووادي فيران، وساعد على الأمر قيام الإمبراطور جوستينيان باستجلاب مائتين من العائلات اليونانية بالإسكندرية وبلاد الفلاخ^{١٣} وتسكينهم بالجانب الشرقي للدير للدفاع^{١٤} عنه وسموا بالصبيان وصاروا بعد ذلك من أكبر قبائل المنطقة والتي عرفت بالجبالية^{١٥} لاستقرارهم بالجبل المواجه للدير فصار هناك نوع من التعاون المشترك بين الدير وزواره من جانب والقبائل العربية التى تمركزت حول مناطق وأملاك الدير بسيناء باعتبارها مناطق خصبة وبها موارد للمياه، فسعى الدير إلى التعاون مع تلك القبائل من خلال استدراجها للمدنية بمفهومها في تلك الفترة والبعد بها عن حياة الجبال والقسوة فى التعامل، فصارت هناك مجموعة من التفاهات والاتفاقات والتي بمقتضاها اختصت كل قبيلة بنوع معين من التعاون مع الدير تحت مبدأ المصالح المشتركة والقائمة على عدم تمكن فصيل منهم من العيش منفردا فلا الدير يمكن أن يبقى بدون العرب ولا العرب قادرين على الاستمرار بدون مساعدة الدير لهم،

فكان هناك من يقومون بتوريد احتياجات الدير كالمح والحوث "السبك" وقد اختصت به قبيلة بنى واصل^{١٦}، ومن لا يجيد القيام بتلك التوريدات فكان يقوم بعمل الغفارة أو الحراسة فيقوم بحراسة أملاك الدير وكرومه بطور سيناء وبمدينة الطور وفاران وهم من قبائل أولاد سعيد والصوالة والعليقات^{١٧}، ومنهم من يقوم بحراسة الدير نفسه بسانت كاترين ومقره الفرعى بالطور وهم من الصبيان من قبيلة الجبالية، ومن لا يجيد لا هذا ولا ذاك كان يعمل كدليل للحجاج الواردين لكاترين من وإلى الطور أو من وإلى مصر وكانوا أفرادا بنسب متفاوتة من عدة قبائل مثل الصوالة والعليقات والجبالية^{١٨}.

وبذلك أصبح الدير عنصرا للجذب الحضارى والمعمارى فى المنطقة وأدى وجود الرهبان بالمنطقة إلى استقرارها وسيطر الرهبان بالتعاون مع القبائل العربية بالمنطقة على المكان فأصبح مؤمنا بعد أن كان صحراء جرداء يخشى العبور منها.

اكتسب الدير عبر الزمن أهمية متواصلة فكان أن لجأ الدير وقيادته إلى التعاون مع السلطات المركزية فى مصر على اختلاف أنواعها وتوجهاتها الدينية، فنراه تارة يلجأ فى البداية للإمبراطور جوستينيان للحصول على تأمين منه فكان أن أرسل إليهم الحرس السابق الإشارة إليهم، وبعد ظهور الإسلام لجأ الرهبان للنبي صلى الله عليه وسلم للحصول على وثيقة تؤمنهم ومحيطهم من تعديات الأعراب غير المسيطر عليهم (لوحة ٤) وغيرهم ممن يرون فى الرهبان خاصة أو غير المسلمين عامة كفارا يجب القضاء عليهم والتقرب إلى الله بالجهد فيهم، فكان أن أعطى النبي صلى الله عليه وسلم للرهبان أمانا عاما لهم ".... كتبه لأهل ملته ولجميع من "يتخل" ينتحل دين النصرانية فى مشارق الأرض ومغاربها قريبا وبعيدها....." ولكنائسهم وصلبانهم لا يتعدى عليهم أحد ولا يأخذ منهم ضرائب على ماكلهم ومشربهم ويؤمنوا فى الطرقات "..... ولا يهدم بيت من بيوت كنائسهم وبيعهم ولا يدخل شئ من مال كنائسهم فى بناء مسجد ولا فى منازل المسلمين لا يلزمهم مما يزرعوه لا خراج ولا عشر ولا يشاطرون لكونه برسم افواههم ولا يحمل على الرهبان والاساقفة ولا من يتعبد جزية ولا غرامة....." بل ذهب النبي فى أمانة إلى أكثر من ذلك ليضرب المثل الأعلى فى الأخلاق عبر العصور فذكر "..... ولا يكلف أحد منهم شططا ولا يجادلوا الا بالتى هى احسن ويحفظ لهم جناح الرحمة وإن صارت النصرانية عند المسلمين فعليهم برضاها وتمكينها من الصلاة فى بيعها ولا يحيل بينها وبين هواء دينها " ^{١٩}، وكان لهذا العهد دورا كبيرا فى الحفاظ على الدير واستمراره فى أداء رسالته الدينية والحضارية فى تلك البقعة النائية عبر العصور وحتى اليوم، وقد حرص الرهبان على تجديد هذا العهد عبر الزمن مع كل أسرة حاكمة تتعاقب على الحكم فى مصر، فعملوا على تجديد هذا العهد من: الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين وإن لم يصلنا للأسف الشديد حتى اليوم أى وثائق من تلك الفترات وإن وصلتنا إشارات من وثائق تالية تشير فى سياقها إلى وثائق من تلك

الفترة ".... انه عرض لدى حضرته الشريفة المشار اليها حين كان ركابه الشريف بالديار المصرية عهد شريف نبوى وسجلات ومناشير من سالف الزمان مستمر حكمها الى ذلك الاوان من الخلفاء الراشدين والملوك والسلاطين تؤكد بعضها بعضا وتؤسس فرعها اصلا باعتماد كلا منها بان يحملوا على ما بأيديهم من المسامحات^{٢٠}، وأن أقدم ما وصلنا من تلك الوثائق التي تقوم على تجديد عهد النبي صلى الله عليه وسلم للرهبان يرجع للعصر الفاطمي، وعلى الرغم من كون الفاطميين شيعة إسماعيلية مختلفين مذهبيا مع العباسيين والأمويين السنة، فإن ذلك لم يمثل فارقا يذكر لدى الرهبان والدير فلجئوا إلى الخلفاء الفاطميين لتجديد عهد الأمان لديهم وتأمينهم من العربان وقطاع الطريق، فوصلتنا وثائق من عهد كل من الخلفاء: الأمر، الحافظ، الفائز، الظافر^{٢١}، في بعضها إشارات لوثائق أمان من العهد الحاكمي^{٢٢}، ومن بعدهم ظهرت الوثائق الأيوبية فوصلتنا وثائق من عهد الملك العادل أبو بكر وابنه الملك الكامل محمد بن العادل^{٢٣}، ولم يختلف المماليك والعثمانيون في حرصهم على تأمين الدير وزوراه ورهبانه عن سالفهم فتعددت الوثائق والمناشير بالعربية والتركية للوصول لنفس الغرض، ومن خلال استعراض تلك الوثائق وغيرها اتضح أنها تشير إلى نفس ما أشار إليه عهد النبي صلى الله عليه وسلم من الحرص على الرهبان وسلامتهم وكف الأذى عنهم.

ولم يحظ الدير خلال تاريخه الطويل باهتمام السلطات المصرية فقط بل شغل اهتمام العديد من الملوك والسلاطين في العالم المعمور في تلك الفترة منذ إنشائه وحتى اليوم، فقد استقبل الدير العديد من رهبانه من كافة أنحاء العالم ففيه رهبان من مصر وأمريكا واليونان وقبرص وروسيا وإنجلترا وألمانيا ولبنان والأردن وغيرها على مر تاريخه، وحاز اهتمام كافة طوائف المسيحيين في العالم وليس الروم الأرثوذكس فقط كما أسس لعلاقات قوية ومتينة مع العديد من المراكز الدينية الأرثوذكسية في العالم وخاصة في روسيا واليونان وألمانيا وأنطاكية، فنرى الصليبيين اللاتين القادمين إلى الشرق فيما عرف بالحروب الصليبية يبجلون هذا الدير رغم اختلافهم المذهبي معه، فيفدون إليه زوارا وحجاجا يلتمسون البركة من رهبانه ويتبادلون معهم الثقافة والخبرات العلمية والثقافية وهو ما يبدو جليا فيما تركوه من تأثيرات حضارية وثقافية لدى الرهبان، فنجد العديد من القطع الفنية بالدير والتي تأثرت بالفكر الكاثوليكي القادم من خلال الفرسان والجنود الصليبيين المشاركين في تلك الحروب، حيث خصص بالدير كنيسة خاصة باللاتين يقيمون فيها شعائرتهم بحرية بعيدا عن كنيسة الدير الرئيسية وهي المعروفة اليوم بحجرة المائدة للرهبان، وقد سجل على جدرانها العديد من الشعارات الخاصة بالفرق العسكرية الصليبية التي وفدت إلى الشرق خلال تلك الحروب^{٢٤} (لوحات ٥-٦)، كما تأثرت المنتجات الفنية التي أقيمت بالدير بتلك التأثيرات فنجد العديد من الأيقونات بالدير وخاصة تلك التي تعود للفترة من أواخر القرن الثاني عشر وحتى الرابع عشر الميلاديين وقد ظهرت عليها التأثيرات اللاتينية بوضوح^{٢٥} (لوحات ٧-٨) بل لم يري

ملوك تلك المناطق أى غضاضة من تلمس البركة وطلب صلوات آباء الدير من الرهبان رغم هذا الاختلاف الدينى الواضح فنرى شارل السادس ملك فرنسا "١٣٨٠-١٤٢٢م يهدى الدير كأساً من الفضة المموهة بالذهب منقوش عليه عبارة " شارل السادس ملك الفرنجة صلوا من أجلي " ^{٢٦} (لوحة ٩).

كما حرص ملوك وزعماء العالم على الإهداء للدير وطلب بركة رهبانه والعمل على مساعدة الدير سواء ماديا أو معنويا، فقام الدير بتشييد مقرات وفروع له فى أغلب مناطق العالم لتدير شئون الدير خارجيا وتسهيل الحصول ووصول المساعدات المالية والعينية للدير بسيناء بشكل سهل وميسر وخاصة أن تلك المساعدات كانت معفاة من الجمارك فى الموانئ المصرية تبعا لامتيازات الدير، وقد أهتمت بعض الدول بشكل خاص بالدير وخاصة روسيا فى الفترة القيصريّة التى اعتبرت نفسها وريثة الإمبراطورية البيزنطية وحامية الأرثوذكسية فى العالم الحديث، فحرصت روسيا ومناطق شرق أوروبا على تذليل العقبات أمام الدير ومده بالأموال والمساعدات العينية بشكل مستمر ومتوال، ويشهد بذلك العديد من القطع الفنية بالدير، من مختلف المواد الخام والتى من أهمها قطعة من النسيج تمثل النبی موسى وشجرة العليقة والدير ومطرزة بخيوط الذهب والفضة وترجع للقرن الثامن عشر الميلادى من روسيا (لوحة ١٠)، وأخرى معدنية على شكل غطاء من الفضة لأحد الأناجيل مزخرف بالحفر والحز والطرق من رومانيا ومؤرخ "١٥٦٨-١٥٧٧م من قبل الأمير الكسندر الثانى ميرسيا" ^{٢٧} (لوحة ١١)، وغيرها من القطع الفنية التى تعكس التأثيرات الفنية الأوروبية والروسية التى انتقلت إلى سيناء عبر التبادل الثقافى والفنى بين تلك المناطق.

كما مثلت شعيرة الحج إلى جبل الشريعة من قبل العديد من المسيحيين على مستوى العالم وخاصة الروس منهم واليونانيين دورا كبيرا فى التبادل الثقافى والحضارى بين مناطق العالم والدير وهى التأثيرات التى انتقلت بدورها من الدير إلى المناطق المحيطة به عبر الزمن والعصور، حيث ساعد تدافع الحجاج من مناطق العالم المختلفة إلى الدير على التنوع الزخرفى والمعمارى للدير بجانب التنوع الفنى فى تحفة الفنية، فجد مثلا أن أرضية كنيسة الدير الرئيسية والمغطاة بالرخام يبدو ظاهرا فيها التأثيرات المملوكية والعثمانية كما فى بيوت القاهرة وتبدو المسحة السورية غالبية عليها وهو ما يؤكد النص التذكارى لتلك الأرضية أنها من عمل أحد خبراء المهنة من سوريا وبالأخص من دمشق ".... عمل المعلم نصر الله الشاغورى الدمشقى " ^{٢٨} (لوحة ١٢)، كما يعبر كل من عرش المطران وحجاب الكنيسة الخشبي من كريت على مدى ما وصلته الزخارف المرسومة والمحفورة والملونة من دقة وتنوع خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين فى كونها متأثرة بشكل واضح وكامل بالزخرفة البيزنطية من حيث الألوان والوحدات الزخرفية (لوحات ١٣-١٤)، كما تشير العديد من الإصلاحات بالدير أنها قد

تمت على يد عمال ومعلمين من الشام وخاصة من طرابلس الشام أو حمص أو دمشق وغيرها (الوحات ١٥-١٦)، كذلك تشير التجديدات التي تمت في كنيسة العليقة بالدير على أن جدرانها قد كسيت بالخزف التركي على مرحلتين الأولى وترجع لعام ١٦٨٠م وهي قادمة من دمشق (لوحة ١٧)، في حين ترجع قطع المرحلة الثانية إلى عام ١٧٧٠م وهي قادمة من حمص (لوحة ١٨)، وذلك من خلال نصوص تذكارية يونانية وعربية بجدران كنيسة العليقة^{٢٩}، وهو ما يؤكد التواصل والتقارب المتبادل بين مصر وبلدان الشام في تلك الفترة، فكانت سيناء كالمعبر الذي عبرت من عليه تلك التأثيرات والثقافات من وإلى مصر، وتشهد حركة الترجمة الكبيرة التي شهدها الدير لنقل مؤلفات رهبانية ووثائقه من اللغات الغربية إلى العربية التطور الثقافي والحضاري الكبير حيث شهد القرن التاسع الميلادي بداية ظهور الترجمات العربية بالدير جنبا إلى جنب مع اللغات الأخرى من يونانية وغيرها، ومع بدايات القرن العاشر تخلصت اللغة العربية من شركائها في المجال فكانت هي اللغة الوحيدة للكتابة تقريبا بالدير، وهو ما يعكس تمكن العنصر العربي من مصر ومناطقها في تلك الفترة، بل وتمكنه داخل الدير نفسه.

وليس أدل على أهمية الدير ودوره الثقافي في تطوير المحيط حوله عبر العصور من حرص السلطات المتعاقبة على مصر على ضمان أمان الدير ورهبانته وتجديد الفرمانات الدالة على ذلك بل وصل الأمر إلى قيام السلطات الفاطمية بتشييد مسجد جامع بتلك البقعة النائية على يد أحد أمراء الحرب الفاطميين المشهورين: الأمير أبو منصور أنوشكين الأمرى أحد قواد الخليفة الأمر، والذي قد قام بزيارة للمنطقة فعمل على تخليد ذكره بمجموعة من المنشآت الدينية في غالبها، فكان هذا المسجد الجامع بدير سانت كاترين أحد تلك المنشآت التي شيدها هذا الأمير بتلك البقعة، بل وأهداه منبرا من الخشب العزيزي (لوحة ١٩)، وهو انعكاس لاهتمام السلطة المركزية بسيناء والدير والقاطنين فيه والمحيطين به من البدو والعرب، ومن المعلوم أن مناطق سانت كاترين والطور في الماضي كانت تخضع لما يسمى قواد الحصون الطورية "الحصون الجبلية" ومقرهم بمدينة الطور والتي خرجت أغلب الفرمانات لقواد تلك الحصون برعاية الدير ورهبانه وتذليل العقبات أمامهم ومنع التشويش عليهم^{٣٠}.

يعد الدير محط أنظار العديد والعديد من الباحثين والدارسين للحضارة والتاريخ البيزنطي والمسيحي المبكر، سواء في العمارة أو الفنون أو في الكتابات، حيث يحتفظ الدير بمجموعة فنية رائعة من الأيقونات البيزنطية المبكرة والتي ترجع للفترة ما بين القرن السادس وحتى القرن التاسع عشر، وفي ذلك يعبر الدير عن ميزة متفردة من كونه يشتمل على مجموعة نادرة من الأيقونات البيزنطية والتي تعود للفترة من القرن الثامن وحتى العاشر وهي الفترة التي اشتهرت في التاريخ البيزنطي بحروب الأيقونات، والتي دمر على أثرها العديد من الكنوز الأيقونية المسيحية على

مستوى العالم ولم ينج من ذلك إلا مناطق نادرة كان منها دير سانت كاترين لكونه فى تلك الفترة تحت الحكم الإسلامى فلم يطبق به القرار الإمبراطورى^{٣١}.

ومن هنا فنظرة واحدة لهذا الأثر الخالد تدل بشكل أكيد على التطور التراثى المعمارى والفنى والحضارى له وللمحيط حولة عبر العصور، فقد اتخذ الدير عند إنشائه فى القرن السادس الميلادى روح عصره فجاء على هيئة وشكل الحصون الرومانية فى العصور الوسطى وهو ما يبدو من ضخامة الأسوار وارتفاعها والممر الموجود داخل السور للحماية ويدور حول الدير كما فى أسوار القاهرة القديمة، ومن الوسائل الدفاعية التى شغلت الواجهة الرئيسية للدير من وجود السقاطات ومزاغل السهام، وتطور النظام الدفاعى المعمارى للدير عبر العصور وظهر ذلك فى القيام بتوسيع بعض فتحات المزاغل لتستقبل المدفعية لتحل محل السهام مع تطور العصر (لوحه ٢٠)، كما شهد النظام الدفاعى للدير تطوراً آخر حيث يظهر الاختلاف فى أشكال الأبراج الدفاعية بالدير ويبدو واضحاً فى بعضها وخاصة بعض أبراج الجدار الشمالى حيث برج الزاوية الثلاث أرباع الدائرة وكذلك برجى سان جورج بوسط الجدار حيث يختلفان فى الشكل عن الأبراج الأخرى فى باقى الأسوار (لوحات ٢٣-٢٤)، وذلك حيث أنهم من تجديدات الحملة الفرنسية أثناء احتلالها لمصر (١٧٩٨-١٨٠١م) (لوحه ٢٥)، كذلك شهدت ملحقات الدير الداخلية عمليات تطوير عبر الزمن وطبقاً لمتطلبات العصر دون أن تؤثر على المظهر التاريخى والحضارى للدير عبر العصور، بل يعتبر الدير من أقدم الأديرة التى لم تدخل عليها تعديلات جوهرية تغير من شكلها العام من وقت إنشائها وحتى اليوم، ويعتبر مقر إقامة مطران الدير، وكذلك مبنى مكتبة الدير الحالية من أهم التجديدات والإضافات التى أدخلت على الدير، حيث يشغل مقر إقامة المطران حالياً جزءاً من أقدم أجزاء الدير وهو جزء من البرج الذى شيده الإمبراطورة هيلانة فى زيارتها الشهيرة للمنطقة فى القرن الرابع مع كنيسة العذراء (شكلى ١-٢)، أما المكتبة فقد شيد مبناها فى ستينيات القرن الفائت لتشغل كامل الجدار الجنوبى للسور الجوستينيانى للدير وتستغل لحفظ كتبه ووثائقه.

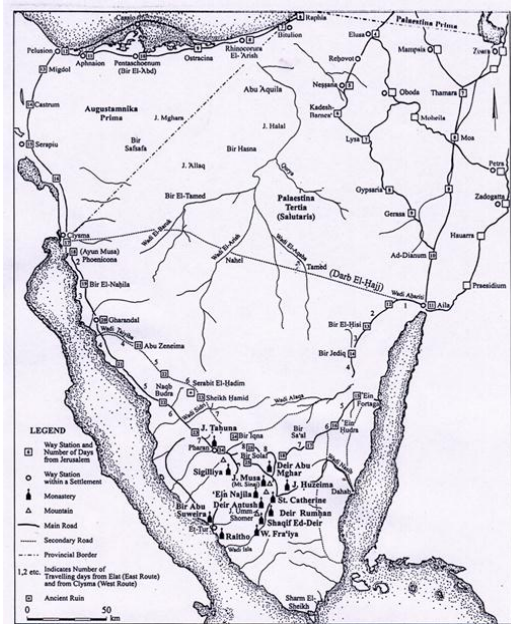
وقد ظل الدير يحوز هذا الاهتمام والتقدير من البدو الذى أصبح الدير بالنسبة لهم كالشهر العقارى يدونون به كل ما يدور فى حياتهم وما يتعرضون له من المشاكل أو الاتفاقيات مع الرهبان أو مع بعضهم البعض، أو من السلطات المركزية القائمة بمصر فنرى استمرار اهتمام الدولة بالمكان والموقع وحرصها على الحفاظ عليه حتى اليوم وهو ما ترجم بصدر قرار السيد وزير الثقافة رقم (٨٥) فى عام ١٩٩٢م بتسجيل الدير كأثر بيزنطى من قبل المجلس الأعلى للآثار، ثم تلا ذلك صدور قرار السيد وزير الثقافة (رئيس المجلس الأعلى للآثار) رقم (٥٠٩) فى عام ١٩٩٧م باعتماد خطوط تجميل حول دير من جميع جهاته للحفاظ على بانوراما المنطقة، وتعتبر الأراضى الواقعة داخل خطوط التجميل أرضاً أثرية وقد كان قرار تسجيل الدير

وقرار اعتماد خطوط التجميل المشار إليهما طبقا لقانون حماية الآثار رقم ١١٧ فى عام ١٩٨٣م، وقد أدى هذا الاهتمام من الدولة ممثلا فى المجلس الأعلى للآثار وجهوده الكبيرة إلى نجاح مصر فى تسجيل هذا الأثر الهام كتراث عالمى للبشرية جمعاء وذلك فى جلسة اليونسكو رقم (٢٦ لسنة ٢٠٠٢) على أساس معايير ثقافيه، كما حرصت وزارة الآثار منذ تسجيل الدير على رعايته وحل مشكلاته فكانت أعمال الحفائر والمسح الأثرى والترميمات المتتالية التى تقوم بها الوزارة بالتعاون مع إدارة الدير والعديد من بيوت الخبرة الدولية لترميم كنوز الدير والحفاظ عليها، كذلك حرصت الوزارة بالتنسيق مع وزارة الخارجية على تنظيم العديد من المعارض الخارجية لتعرض من خلالها كنوز الدير للعالم لتكون نافذة يطل بها المهتمين والدارسين على تلك الكنوز ولتكون دافعا لهم من أجل القيام بزيارة الدير للارتقاء بالسياحة وأعداد السياح، إذ يعتبر الدير المصدر الرئيسى لعمل حوالى أربعة آلاف فرد بكاترين من قبيلة الجبالية، ويمتاز الدير بأن زواره يجمعون ما بين المهتمين بالسياحة الدينية حيث الحج لدير كاترين، والثقافية من دراسة النماذج المبكرة فى الفنون والعمارة البيزنطية المحفوظة بالدير، والرياضية فى رياضة تسلق الجبال فى جبال المنطقة، كما أن المنطقة تجذب مختلف الديانات من يهودية ومسيحية وإسلامية وغيرهم، كذلك سعت الوزارة إلى التعاون مع كافة منظمات المجتمع المدنى والدولى فى الحفاظ على الدير وتراثه وتاريخه وحمايته فكان التعاون الدولى المثمر فى الفترة من علم ٢٠٠٨ وحتى ٢٠١٠ مع الاتحاد الأوروبى فى أعمال ترميم وتطوير أسوار الدير والمنطقة المحيطة به ووضع خطة بالتنسيق مع "ICOM" لإدارة المنطقة.

النتائج:

١. وضح من خلال البحث الدور الثقافى والتنموى الكبير لدير سانت كاترين فى المنطقة
٢. عكس البحث مدى أهمية الدير فى المحيط حوله بالنسبة للقبائل المحيطة به والمستقرة حوله
٣. أوضح البحث الدور الكبير الذى لعبه الدير فى استقرار تلك القبائل العربية بالمنطقة ونقل المنطقة من الدور البدائى القفر إلى المستوى الحضارى الآمن
٤. أوضح البحث العلاقة الفريدة التى نشأت ما بين الدير ورهبانه والقبائل العربية المحيطة ومدى ما وفرتة تلك القبائل للدير من أمن وحماية فى مقابل العمل والاستقرار حوله
٥. عكس البحث الاهتمام المتوالى الذى حظى به الدير نتيجة لدوره الثقافى والتاريخى والتنموى الهام عبر العصور من السلطات الحاكمة فى مصر على مر تاريخها
٦. ظهر التطور التاريخى والتنموى للدير عبر العصور من خلال تطور وحداته ونمطه الاستقرارى بالمكان، وكذلك تطوره الفنى من خلال الانفتاح على الثقافات الخارجية والواردة إليه عبر زواره
٧. أبرز البحث التسامح والتعايش السلمى والتعاون القائم بين الديانات السماوية الكبرى من يهودية ومسيحية وإسلام فى تلك البقعة والتى تعبر أفضل تعبير عن روح مصر الحضارية والتى لم ولن تتغير عبر العصور لكونها من موروثات الشخصية المصرية عبر تاريخها وعصورها
٨. أبرز البحث اهتمام دول العالم المختلفة بالدير ودوره الثقافى عبر العصور كأحد الرموز البيزنطية الدينية الأرثوذكسية المبكرة على مستوى العالم
٩. أبرز البحث الاهتمام الذى حظى به الدير من ملوك ورؤساء العالم المعمور عبر تاريخه سواء من مسلمين ومسيحيين، من خلال الإهداءات التى أهديت للدير عبر العصور
١٠. أظهر البحث مدى اهتمام الدولة ممثلة فى وزارة الآثار بهذا الأثر التاريخى الفريد وحرصها على الحفاظ عليه بكافة الوسائل القانونية المتاحة وتذليل كافة العقبات التى تواجهه
١١. ألقى البحث الضوء على التعاون الوثيق بين الدولة ممثلة فى وزارة الآثار وكافة الجهات الدولية والعالمية المتخصصة والمهتمة بالتراث الحضارى البشرى عبر العصور من اليونسكو و"ICOM" والاتحاد الأوربي فى الحفاظ على الدير وتراثه.

ملحق الخرائط واللوحات والأشكال :



خريطة ٢

دير كاترين والجبال المحيطة به

Uzi Dhari: Monastic Settlements in South Sinai.p13

خريطة ١

مناطق التركيز الرهباني بجنوب سيناء



لوحة ٢

قلايات جبل أبو صويرة بالطور "الفردية"

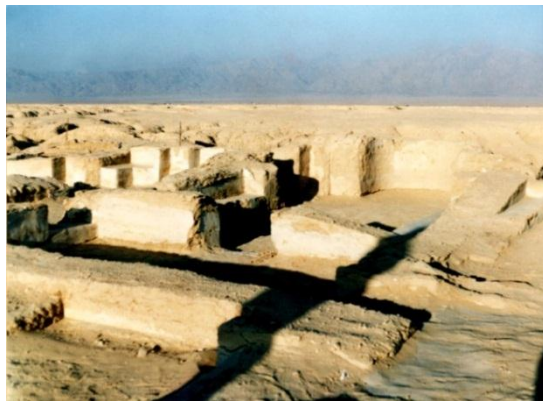
لوحة ١

أيقونة سانت كاترين ومناظر من حياتها



لوحة ٤

العهدة المحمدية لرهبان الدير



لوحة ٣

مجمع وادي الأعوج بالطور "التوحد الجماعي"



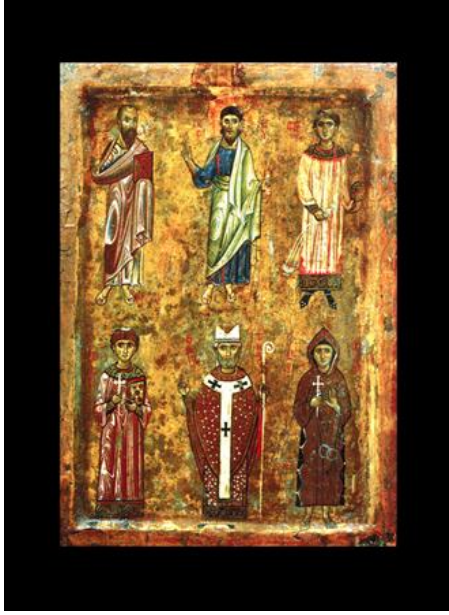
لوحة ٦

شعار أحد الفرق الفرنسية بالحروب الصليبية



لوحة ٥

شعار الملك ريتشارد قلب الأسد



لوحة ٨



لوحة ٧

التأثيرات اللاتينية الكاثوليكية الفنية على الأيقونات البيزنطية بدير كاترين خلال القرن الرابع عشر



لوحة ١٠

نسيج من روسيا يصور قصة حياة كاترين -
القرن الثامن عشر

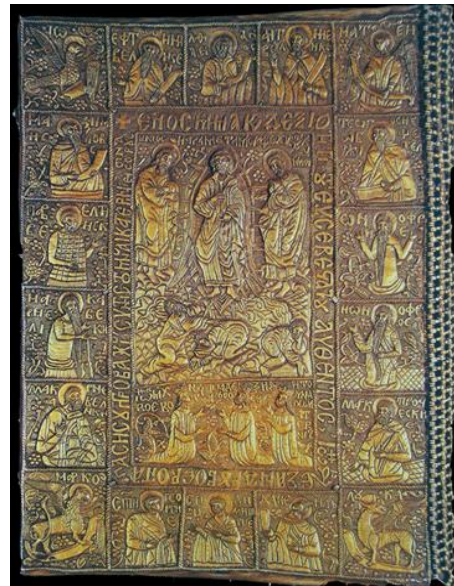


لوحة ٩

كأس شارل السادس ملك فرنسا ١٤١٥م



لوحة ١٢
نص تجديد بلاطات كنيسة التجلى ١٧١٥م



لوحة ١١
غلاف فضي لأحد الأناجيل رومانيا ١٥٧٠م



لوحة ١٤
الحجاب الخشبي لكنيسة التجلى ١٦١٢م



لوحة ١٣
عرش المطران من خشب الأرز-كريت القرن
الثامن عشر الميلادي



لوحة ١٦

تجديدات الحجاج الشوام بجدران الدير الخارجية



لوحة ١٥

تجديدات الحجاج الشوام بجدران الدير

الداخلية ١٨٤٠م



لوحة ١٨

نص تجديد بلاطات كنيسة العليقة-من حمص

١٧٧٧م



لوحة ١٧

نص تجديد بلاطات جدران كنيسة العليقة-من دمشق

١٦٨٠م



لوحة ٢٠

الواجهة الغربية للدير وبها السقاية أعلى المدخل



لوحة ١٩

المنبر الخشبي للجامع الفاطمي بالدير ١١٠٦م



لوحة ٢٢

"برج نابليون" ووسط الجدار الشمالي "برج سان جورج" من تجديدات الحملة الفرنسية ١٨٠١م



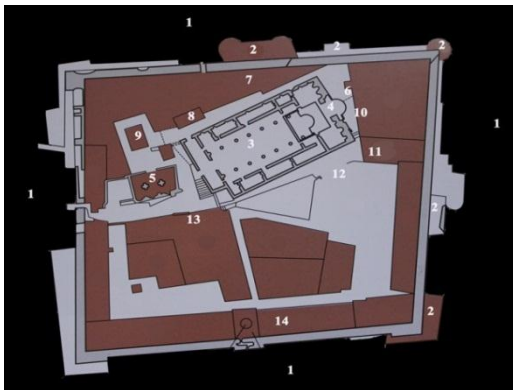
لوحة ٢١

الأبراج الثلاث أرباع الدائرة بالركن الشرقي



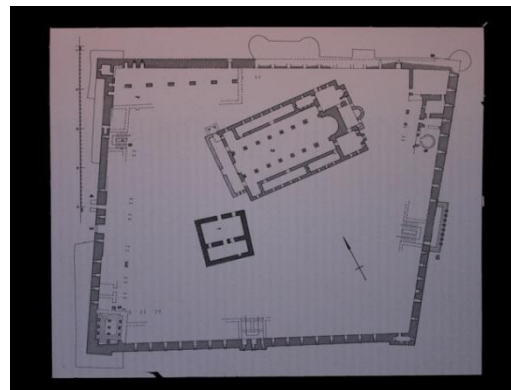
لوحة ٢٣

نص تجديد برج سان جورج من الأساس ومؤرخ ١٨٠١م



شكل ٢

التخطيط الحالي للدير وموضح به ملحقاته
Corina Rossi: The Treasures of the
Monastery of Saint Catherine.p87



شكل ١

التخطيط الأولي لدير كاترين وبه برج هيلانة من القرن
الرابع الميلادي
Konstantinos Manafis: Sinai Treasures
of the Monastery Saint Catherine.p31

حواشي البحث :

- ^١ - القرآن الكريم - سورة طه آية 12
- ^٢ - مصطفى، محمد حلمي محمد (2006): التحف الإسلامية والمسيحية بدير سانت كاترين من العصر الفاطمي حتى نهاية العصر العثماني، مخطوط رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة حلوان، ص 61 هامش 1
- ^٣ - عرف هذا الجبل باسم جبل العبيد نسبة للعبيد الذين استقدمهم الأمباطور جوستنيان في القرن السادس للسكن بجوار الدير والدفاع عنه وحمايته فعرفوا بالجبالية نسبة للجبل او بالصبيان، وعرف الجبل بهم فعرف بجبل العبيد.
- مؤلف مجهول : وصف دير طور سيناء، مكتبة سان جوزيف لبنان ، مخطوط ١٧ عريموخ ١٧١٠، ص ١٠١٠-١٠١١
- ^٤ - عرف هذا الجبل بجبل الصفصافة لوجود صفصافة ضخمة تشغل قمته - ويتصل هذا الجبل بجبل موسى من الجهة الشرقية.
- شقيير، نعيم (١٩٩٥): تاريخ سيناء القديم والحديث، دير سانت كاترين، ص ٤٦
- ^٥ - عرف بهذا الأسم حيث يعتقد انه الجبل الذي تجلى الله عليه لنبيه موسى فجعله دكا والجبل على راس وادي الشيخ وهو أسود ركامى .
- شقيير : تاريخ سيناء، ص ٤٥
- ⁶-Brouskari، Ersi&Others(2009):Egeria Monuments of Faith، Hellenic Ministry of Culture،p77
- فخري، احمد وآخرين(١٩٨٢): موسوعة سيناء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ١١٨
- ^٧ - طور سيناء وتعنى جبل القمر حيث كلمة الطور لغة هى الجبل، أما سيناء فهى غالبا مشتقة من كلمة "سن" والخاصة باله القمر لدالساميين والفراعنة وكان مشهور ويعبد بتلك المنطقة، وهو سبب تسمية سيناء بأرض القمر .
- Mokhtar،Gamal (1995) : The history of Sinai ، article in " Sinai the Site، the History " Mobil Egypt، pp25-26
- العدل، صبرى احمد (٢٠٠٤): سيناء فى التاريخ الحديث، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ص ١٩-٢٠
- ^٨ - كريكوس والآب افرام(بدون): القديسة كاترين، دير سانت كاترين، ص ٣٨
- باليوراس، اثاناسيوس(١٩٨٦): دير سيناء المقدس، اثينا، ص ٢٩-٣٠
- فخري: موسوعة سيناء، ص ١١٨
- بابايوانو، افانجلوس(بدون): دير طور سيناء، ترجمة صليبا خورى وفيليب دحابره، ص ١٣
- مظهر، حسن(١٩٦٦): "تاريخ القديسة كاترين"، مجلة السياحة، عدد ١١٦
- Safra، Jacob E.(1998): The new encyclopedia Britannica ،Chicago،vol 2،p955
- خليل، وهيب عزيز (١٩٧٩): كاترين قديسة سيناء المصرية، سلسلة سير القديسين، كنيسة القديسة دميانه بالهرم.
- ^٩ - الشيخ، محمد محمد مرسى (١٩٩٤): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٤، ص ٣٩-٥٦
- 10-Mango، Cyril(2011): "Ihor Sevchenko and the Sinai Monastery"، Article in St Catherine's Monastery at Mount Sinai: Its Manuscripts and their Conservation، Papers given in memory of professor IhorSevchenko 27November 2010 ، SteliosIoannou Centre for Classical Byzantine Studies، University of Oxford، Pp1-3

11- Gabra, Gawdat(1995): The Religious Heritage of Sinai , article in "Sinai the Site, the History" Mobil Egypt, pp88- 91

- ١٢- كانت تلك الملاحظات اعتمادا على اعمال الحفائر والمسح الأثرى المتعددة التي تم إجرائها في مناطق الطور وراس سدر وسانت كاترين وفييران بمعرفة منطقة آثار جنوب سيناء.
- مصطفى، محمد حلمي: تقارير أعمال الحفائر والمسح الأثرى بمناطق آثار جنوب سيناء، مواسم متعددة بدأ من عام ٢٠٠٠، المجلس الأعلى للآثار، غير منشورة .
- ١٣- بلاد الفلاخ قديما هي منطقة رومانيا الان وعرفت قديما باسم بلاد الفلاخ أو بلاد ولاكيا أو ولاشيا مانتران، روبير (١٩٩٣): تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، ص ١٢٨
- http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%AA%D8%AD
- ١٤- تاريخ دير طور سيناء، مكتبة دير سانت كاترين، مخطوط رقم ٦٩٢ عربي، مؤرخ بـ ١٨٢٥م، ص ٣ شقير: تاريخ سيناء، ص ٥٢١
- ١٥- عوض الله، محمد فتحى (١٩٩٤): الدير والجبل والجبالية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ١٠٩-١٤٩
- ١٦- مخطوط رقم ١٨٧ عربي، مكتبة دير سانت كاترين، مؤرخ بـ ٨٦٦ هـ - اكتوبر ١١٤٦١ سبتمبر ١٤٦٢م
- ١٧- مخطوط رقم ١٨٦ عربي، مكتبة دير سانت كاترين، مؤرخ بـ الجمعة ٧ محرم الحرام سنة ٨٢٢ هـ - ٣ فبراير ١٤١٩ م
- ١٨- العدل : سيناء فى التاريخ الحديث ، ص ٢٣٧
- ١٩- مخطوط رقم ١ عربي، مكتبة دير سانت كاترين، مؤرخ بـ ١١٥٠ هـ
- ٢٠- مخطوط رقم ١٩٠ عربي، مكتبة دير سانت كاترين، مؤرخ بـ ٢٢ جمادى الأولى ٩٢٨ هـ
- ٢١- مخطوطات أرقام " ٦-٧-٨-٩-١٠ " عربي، مكتبة دير سانت كاترين
- ٢٢- شقير: تاريخ سيناء، ص ٥٣٠
- ٢٣- مخطوطات أرقام " ١١-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦ " عربي، مكتبة دير سانت كاترين
- 24- Kraack, Detlev(2001): "Chivalrous adventures, Religion ardour and curiosity at the outer periphery of the Medieval world", dans Le Sinai de la conquete a nos jours, InistitutFrancais d Archeologie Orientale, Pp87- 97
- 25- Evans, Helen C.(2004) : "Le Monastere de Saint- Catherine au Sinai (1261-1557)",Article in Tresors du Monastere Sainte- Catherine Mont Sinai Egypte, Fondation Pierre Gianadda, Suisse, PP35:151
- ٢٦ - مصطفى : التحف الاسلامية والمسيحية بدير سانت كاترين ، ص ٨٥
- 27 - Manafis, Konstantinos A(1990): Sinai Treasures of the Monastery of Saint Catherine, EkdotikeAthenon, Greece, PP231-242 , Pp263-278
- http://en.wikipedia.org/wiki/Alexander_II_Mircea
- ٢٨- مصطفى : التحف الإسلامية والمسيحية بدير سانت كاترين، ص ١١٤
- ٢٩- مصطفى : التحف الإسلامية والمسيحية بدير سانت كاترين، ص ١٩٠
- ٣٠- صبحي، حسن (١٩٦٤): "من مخطوطات دير سانت كاترين العلاقة بين الأعراب و رهبان الدير فى القرن السابع عشر" ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، مجلد ١٨ .
- ٣١- هسى، ج.م (١٩٨٤): العالم البيزنطى، ترجمة رافت عبد الحميد، دار المعارف، الطبعة الثالثة ، ص ١٣٣-١٣٩